

بيان جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية فيما يتعلق بمرض الكورونا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله يفعل ما يشاء وصى الله وسلم على سيدنا محمد المتوكِّل على خالقه وعلى آله وصحبه. أما بعد فقد كثرت الكلام في أيامنا عن انتشار مرض الكورونا في بلاد كثيرة وأدلى كل من الجاهل والعارف بدلوه في المسائل المتعلقة به والأحاديث الواردة في العدوى والأوبئة فأصاب العارفون وخبط غيرهم في ذلك خبط عشواء.

ومما ينبغي معرفته مما يتعلق بذلك ما يلي

أولاً. لا يصح أن يقاس هذا المرض بالطاعون وما شابهه من الأوبئة إذ إن نسبة الوفيات في المصابين به غير مرتفعة والأغلبية الساحقة ممن تحققت إصابتهم به يُشفون منه بل معظم من يُصاب به يُشفى بلا مداواة.

ثانياً هل ينتقل هذا المرض بالعدوى من مريض إلى مريض آخر أو لا؟ قال العلماء أما على معنى انتقال المرض بالطبع من غير مشيئة الله تعالى ولا تقديره فلا لأن كل شيء في العالم يحصل بإرادة الله تعالى وتخليقه بلا استثناء، وأما على معنى أن تكون مخالطة الصحيح للمريض سبباً لإصابته بالمرض فهذا مما اختلف أهل العلم فيه فقال قسم يحصل ذلك بمشيئة الله تعالى فيكون مرض الأول سبباً لمرض الثاني وقد يتخلف ذلك فلا يحصل رغم المخالطة أي إذا لم يشأ الله ذلك كما هو معتاد في الأسباب واحتج هؤلاء بحديث [فر من المجدوم فرارك من الأسد] وحديث [لا يجل ممرض على مصح] ونحوهما من الأحاديث وممن ذهب إلى هذا البيهقي وابن الصلاح والنووي وغيرهم، وقال قسم آخر من العلماء لا يكون مرض أحد سبباً لمرض غيره وإنما يبدأ الله المرض في الثاني كما يبدأ في الأول وقالوا الأمر بالفرار من المجدوم ليس فيه النص على أن ذلك للعدوى وكذلك الحديث الآخر، فلما صح حديث [لا عدوى] وحديث [لا يعدي شيء شيئاً] وحديث [وليحل المصحح حيث شاء] دل ظاهر ذلك على أن سبب النهي ليس التسبب بالعدوى ولكن المجدوم إذا خالطه الصحيح البدن السليم من الآفة ازدادت حسرته، وربما صدر من السليم ما يضايق العليل لما يكون في نفسه من الثفرة من مرضه أو يقول إذا أصابه المرض لولاه لما مرضت فينكسر خاطر المجدوم ويتأذى فلذلك نهى عن

مخالطته، وكذلك المريض بنحو الجذام لا ينبغي له أن ينزل على الصحيح فيؤذيه لأنّ الأنفس تكرهه فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك للأذى لا للعدوى، وأما الصحيح فله أن ينزل محلة المريض إن صبر على ذلك واحتملته نفسه ولو كان التهي للعدوى لما أذن للصحيح في النزول على المريض اهـ ورؤى هذا القول عن كثيرين منهم الأئمة مالك وابن وهب والطبري واليه ذهب الباجي والقرطبي والحافظ ابن حجر وغيرهم، وأجاب الأولون بتأويل حديث [لا عدوى] وأن المراد منه أن المرض لا يعدى بطبعه وليس معناه نفى انتقاله من شخص إلى آخر بمشيئة الله والله أعلم اهـ

ثالثاً أمّا السبيل الذي ينبغي سلوكه مع الناس عند الكلام معهم عن هذا المرض فنقول كان شيخنا الهرري رحمه الله إذا سُئِلَ عن هذه الأحاديث ذكر التفسير الأول أحياناً وذكر التفسير الثاني في أحيان أخرى ولعل ذلك لاختلاف أحوال السائلين ومدى تمكّنهم في العلم، ولا ضرر في ذلك طالما أنّ المسئلة خلافية غير قطعية.

ولا يخفى أنّ مدار القولين على أنّ المرض إنما يحدث بتقدير الله وقدرته لا بمجرد طبيعه وأنّ المخالطة قد تحصل ولا يحصل المرض عقبها، فإذا كان الأمر كذلك فنحن نكتفي في الكلام مع الناس بذكر هذا المقدار أي بذكر أنّنا نعتقد بحصول المرض بمشيئة الله وبخلقه وأنّ الخالق هو الله لا المرض بطبعه من غير زيادة تفصيل وأنّ أمراضاً معينة تنتشر بسرعة كبيرة أكثر من غيرها وهذا واقع مشاهد، فإذا انتشر المرض ساهمنا بقدر طاقتنا في الإعانة بالدواء والوقاية على ما يوافق الشرع لا على ما يخالفه ولا على ما تنفوذ إليه الوسوسة والأوهام والخوف الذي يمنع صواب التفكير.

ثم لا بأس بسلوك طريق الوقاية من غير مبالغة تتعدى الحدود ولا ضعف في التوكل على الله فمن فعل ذلك لم نُنكِر عليه ولم نلّمه، وكيف نلّمه على أخذه في الأسباب على الوجه الذي أذن به الشرع لوقاية نفسه من ضرر يخشاه، وكذلك إذا وجدنا من قوى توكّله فخدم المرضي وخالطهم وعلمهم وداواهم وراعى حاجات عيالهم وعانسهم بطعام وحديث لوجه الله تعالى لم نُنكِر عليه ولا عبناه بذلك كيف وهو يفعل ما أمر به الربّ وحثّ عليه الدين.

وليُتَبَّهَ هنا إلى أنّ ديننا الحنيف حثّ على النظافة في الأحوال كلّها وعلى ستر الفم عند العطاس وعدم النفخ على الطعام الساخن لتبريده وعلى غسل اليدين قبل الطعام إن كانتا متقدّرتين وغسلها بعد الطعام من

الدسومة ونحوها وكذا على غسل الفم والاستياك في الليل والنهار وعلى تجديد الوضوء زيادة على وضوء
الفرض وعلى اغتسالات مسنونة زيادة على المفروضة وأمر بمنع التضمخ بالنجاسات وأوجب التطهر منها
والاستنجاء للصلاة وكرة قضاء الحاجة في أماكن اجتماع الناس وفي طريقهم إلى غير ذلك من أمور طلبها الشرع
وهي تدخل أيضا في باب التنظف والتطهر، ويكفي في ذلك تعاضد الأحاديث في الحث على النظافة كحديث
الترمذي أن الله تعالى يحب النظافة اهـ وحديث الطبراني في الأوسط الإسلام نظيف فتنظفوا اهـ وغيرهما،
فإذا راعينا هذه الآداب وما كان مثلها مما دعا الشرع إليه بالنية الخالصة لله جل وعز كان لنا الثواب في
الآخرة والمنفعة في الدنيا وإذا خالفناها أو وضعناها خلف ظهورنا أو أهملنا إخلاص النية فيها أو أبدلنا عادات
الرّاع بعبادات السادات خسرنا مهما تعبنا في ذلك.

والله تعالى أعلم.